جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التربية الفنية

المرحلة : الثانية صباحي

عنوان المحاضرة : الجمال والفن الفلاسفة عند العرب المسلمين

مدرس المادة : م.د.ياسين فرج ياسين

٢٠٢٣ ــ ٢٠٢٤

قديماً .. تميزت العقول العربية بفلسفة جمالية فريدة من نوعها، فهم أولي الحضارة التي أنتجَت إحدى أكثر مفاهيم الجمال ثورية !

ربما كان للغتهم المتطورة والمعقدة دور كبير في تمكين تلك القفزة الفلسفية ؟

فلم يسبقهم أحدٌ على تقسيم الجمال إلى نوعين* .. جمال ظاهري و آخر باطني (معنوي) !

قد لا ينتبه الفرد العربي أو الناطق / القارئ للعربية بذلك، لكن اللغة العربية تحتوي مفاهيم عميقة للجمال أو الجماليات، لا توجد في اللغات المعاصرة لها ولا الآبِلَةُ عنها إلا في القرون القليلة الماضية.

فالإغريق مثلاً كانت لديهم مفردة التوصيف [kalos / kalê كالُّوس أو كال] أو [kalon كالون] التي يشاع استخدامها في الكتب و المراجع الغربية عن الجماليات هي أصلا لا تعني "جمال كما هو سائد اليوم" بل هي بالأصل تأتي بمعنى "جيد" أو "الجودة" بينما أقرب المفردات أو الأوصاف المقاربة لمفردة "الجمال" كما نفهمها بالعربية هي تأتي اصطلاحاً لديهم بـ(مكتمل النمو) أو (نبيل) أو (جيد الخَلق / البناء الجسدي) أو حتى (طازج!) وبالنسبة للأخيرة فهي كما يبدو مرتبطة بمفهومهم عن اكتمال نمو الثمار عند وقت الحصاد أو القطاف.

أما كلمة (جميل Beautiful) فهي حديثة نسبياً، لأن اللغة الإنگليزية استعارتها من الفرنسية (Beaute) التي بدورها اشتقتها من اللاتينية (Bellus) و التي كانت بالأصل تستخدم في معنى جيد / لا بأس به أو حتى لوصف اللون الأبيض في البشر و الدواب، قد تبدو لك مألوفة فهي تستخدم باللغات اللاتينية بنفس المعنى القديم تقريباً حيث يقول الإسبان .. المكسيكيون وبقية الناطقين بالإسبانية "بيلّا" و تعني الأنثى الجميلة و هي أساساً تعني البيضاء لكن الثقافة لديهم اقترن الجمال بها بالبياض كذلك "بيلّو" وهي الكلمة لوصف المذكر و قد تأتي بمعنى الطيب أو حسن الخُلق بالتالي نعود مجدداً للنقطة ذاتها و هي أن فلسفة الجمال لا تزال مرتبطة بالجوانب المادية / الحسية / الظاهرية.

فالإغريق الذين يتخذهم الأوروبيون منبعاً لأسس الجمال على ما يبدو لم يهتموا إلا للجمال الحسي، القابل للفحص و القياس و هذا يعوزه الكثيرون لنظريات فيثاغورث و إقليدس في علوم الرياضيات و الحساب، لكن ربما عليهم إعادة النظر مجدداً بشكل حيادي و أقل انحيازاً.**

بينما في الجزيرة العربية وما حولها على الأرجح كان العرب يتغزلون بالقمر و المخلوقات من حولهم و ينشدون كلمات صريحة بوصف الجمال أو يرددون أبيات الشعر المتخمة بمفردات الجماليات بنوعيها الظاهري و الباطني، فمعظم الحضارات و الثقافات الأخرى إن لم تكن جميعها كانت بشكل عام تنظر للجمال الظاهري (المادي) فقط ولا تمتلك تمييزاً مفاهيمياً لغوياً واضحاً عن الجمال المعنوي !

{من أجل التوضيح} .. تصور أن هنالك مُزارعاً من جزر اليونان يرغب بوصف جمال زوجته مثلاً فيقول : (أنتِ مكتملة النضج كما عنقود العنب) بينما في الجانب الآخر لنتصور أن هنالك إمرأة عربية ترغب بتشجيع ابنها على العمل فتقول : (يا بُني كن جميلاً و أقدم على العمل).

حيث عند العرب مفردة (جميل) لم تكن كما نفهمها اليوم بشكل واضح و خاص بالجمال، بل كانت أكثر ارتباطاً بحسن الخلق و الطباع كما هو الحال مع الإغريق الذين ارتبط مفهوم الجمال لديهم بنفس النظرة المقرونة بالجانب الخُلقي و الأخلاقي.

لكن العرب تطور مفهومهم عن الجمال شيئاً فشيئاً حتى ضجت أشعارهم بكلمات التبطين و الرمزية و التشبيه و الغزل بنوعيه الصريح و العفيف، و كان أوج هذا التطور يتصاعد بعد انتشار الإسلام، حيث للعرب و للمسلمين ضوابط محددة لوصف الإله فهو بالنسبة للفكر الإسلامي "ليس كمثله شيء" و هو "جميلٌ يحب الجمال" وغيرها من أفكار، أحاديث، آيات و نظريات فلسفية و اجتماعية انتشرت بينهم.

صار للمسلمين تحدٍ جديد في رؤية الجماليات ما لبثوا حتى عادوا للغة العربية التي يبجلونها و يَرَوْن فيها أسمى درجات الكمال فالقرآن الكريم كان هو المعجزة بالنسبة لهم و هذا يبين مدى عمق مفهوم الكمال و الجمال بينهم، مما أنشأ فكرة (مفهوم الجمال الباطني / المعنوي) في العربية و بين العرب و المسلمين قبل أي حضارة أخرى.

لهذا نُلاحظ أيضاً مدى براعة الفنانين و الحرفيين في نسج و تشكيل أجمل الخطوط و الحروف، الزخارف و الأشكال الهندسية و المجردة البعيدة غالباً عن التجسيد الواقعي أو التصوير الطبيعي من بشر أو دواب .. لذا يمكن القول بأنهم ركزوا على الجانب الجمالي المعنوي أكثر من غيرهم و الشواهد تؤكد ذلك.

{نعم هذه معطيات قابلة للتشكيك} .. فمن الصعب الجزم بها لأن الجمال من ناحية واسعة قد يتنوع استيعابه من ثقافة لأخرى، بالتالي قد يتصور البعض بأن هنالك انحياز أو مغالاة بالحضارة العربية لكن هم فعلاً أول الشعوب الذين *تميزوا بالجمال الغير مادي و خاصة اللغوي و هو جمال فكري / عقلي Intellectual Beauty، فقد نجد بعض القبائل الإفريقية تتجمل بشق الشفاه أو توسيعها، و قبائل أخرى تتجمل بتطويق رقاب النساء كما هو الحال لدى نساء قبيلة الكايان في سيام بين البورما / ميانمار و تايلند حالياً، أو بتلبيخ الوجوه بمساحيق التلك الأبيض كما كان شائعاً بين بعض الحكام في أوروبا خاصة الملكة إليزابيث الأولى.

أما عند الغرب وتحديداً أوروبا فلم تتبلور فكرة (الجماليات) بشكل أوضح إلا في منتصف القرن الثامن عشر (عام ١٧٨٠م تقريباً) عندما كتب كانط إحدى السطور التي تطرقت عن الجمال و بعدها استعيرت المفردة الإغريقية [aisthēsis] التي صارت استيطقا ؛ مع انبثاق الحركات الفلسفية هناك، بينما الفلسفة العربية / الإسلامية توصلت لذلك بشكل أدبي-فلسفي منذ أواخر الألفية الأولى للتقويم الميلادي (أعوام ٨٩٢م إلى ٩٠٠م تقريباً) حيث بعدها انتقلت

موجات الفلسفة من بغداد نحو الغرب مروراً بشمال إفريقيا إلى الأندلس ثم إلى الشمال نحو بقية أوروبا فدرس معظم علماؤها و فلاسفتها العلوم الإسلامية / العربية التي حفظت و نقلت لهم أهم منتجات الفكر الإغريقي أيضاً .. لا الأفكار "المشرقية" فحسب!

كان للفيلسوف ابن رشد النصيب الأكبر باهتمام فلاسفة أوروبا بعد قرون من منع و حظر علوم الفلسفة خلال فترات القرن التاسع لغاية القرن الخامس عشر تدريجياً خفت القيود و انكمشت سلطات الكنيسة مما ساهم بانتشار العلوم و تراجم الكتب و عُرف ابن رشد بينهم باسم (Averroës)، و هو اليوم يُنسب له الفضل بتدشين الفلسفة الحديثة لكن طبعاً لا يزال البعض محاولاً تحجيم دور العلماء الغير أوروبيين بالتالي الآراء غير متفقة على فضل ابن رشد و أثره على الفلسفة الغربية الحديثة.

على الرغم من ذلك إلا أنهم كانوا متأخرين فكانط الذي كان أقربهم للوصول إلى فصل ارتباط الجمال بالمادة، تأثر بنظريات و دراسات الفلاسفة العرب بشكل موثق و هذا قد يفتح مجالاً للتأويل عن دور رواد الفلسفة العرب و المسلمين و أثرهم الكبير على كتبه و تحديداً الغزالي الذي خط في كتابه [علوم إحياء الدين في الجزئين الثالث و الرابع] حيث قال : "الجمال الخالد هو الجمال المعنوي"، و المترجمون الغربيون بات يُشكك في تفسيراتهم و تراجمهم لبعض المفردات المتعلقة بالجوانب الجمالية و الحسية و كتاب أفلاطون ***هيبياس الكبير أصبح نقطة ارتكاز لهذه الحجج و الشكوك.

أما الآن حتى لا يصبح هذا الموضوع مشتتاً للأفكار، لنقرأ ملخص هذه اللمحة الخاطفة على فلسفة الجمال عند العرب و المسلمين :

الإغريق كانوا يربطون الجمال بالمواد و الظواهر التي تعتمد على الحواس الحسية من نظر و شم و ملمس حتى أفلاطون الذي فكر بتجريد الجمال* قام بربطه بالظواهر الحسية (المادية)!**

أفـلاطـون :

أول من حاول تجريد الجمال من الشكل

لكنه صنفه كنوع من المواد أو الظواهر الحسية.

الـغزالــي :

أول من ميز الجـمال و فصله إلى نوعين،

جـمال ظاهري ملمــوس ..

جـمال مـعنــوي غير ملمـوس !

ـطبعاً هذا حسب التاريـخ المدون لكـن اللغة العربيــة لا تزال الأكـثر دقــة و تخصيصاً في وصف الجماليات.

أما الغربـيون فلم يميزوا فلسفة الجماليات إلا أواخـر القـرن الــثامــن عشــر !

حيث استُعيرت من الإغريـقيـــة مفردة aesthēsis .. و حاول كانـط تفسيـر الجـمال بأنه شعور بالراحة التلقائية عند "مشاهدة" الفن أو الطبيعة ..إلخ.

بالتالي هو كذلك لم يتوصل للجـمال المعنوي حتى عـام ١٧٨٠م بـشـكل واضـــح و جازم.

بينما العــرب و المسلمــون توصلوا لذلك قبلهم بنحو ٩٠٠م عام تـقـريـباً !

الـهـوامــش :

***لا يمكن الجزم بذلك بشكل تام، لكن القصد هو أنهم أول الشعوب التي دونت أو وثقت ذلك أو بعبارة أخرى لم تُكتشف بعد شعوب أخرى سبقتهم بفصل الجمال إلى نوعين (حسي و غير حسي) (ظاهري و باطني) (جمال مادي وآخر غير مادي) ..إلخ.**

**** نظريات فيثاغورث و إقليدس : هي مجموعة من الفرضيات الرياضية التي تعتبر أساساً لعلوم الحساب و الهندسة في عالمنا الحديث، و كان لها الأثر الكبير بتأسيس ما يعرف بـ(النسبة الذهبية) أو Golden Ratio.**

*****هيـپـيـاس الكـبير : هو كتاب لأفلاطون أنتجه في شبابه حوالي ٣٩٠ قبل الميلاد تقريباً، يعرف كذلك بمحاورة الجمال أو (ماهو الجمال) لا تزال التشكيكات بصحة الكتاب و سلامة النقل و الترجمة مستمرة حتى هذا اليوم، فمعظم المترجمين ربطوا الكلمة كالون Kalon بمعنى جميل على الرغم من أنها في ذلك الوقت كانت على الأرجح تستخدم بمعنى : رفيع / نبيل و غيرها من أوصاف كما ذُكر أعلاه.**